

١ - السبل الى الوحدة العربية :

تظهر في التاريخ الحديث للعرب أربعة سبل مختلفة الى الوحدة : السبيل التعاقدى ، والسبيل المتدرج ، والسبيل الثوري ، والسبيل العملي functionalist . ولكل من هذه السبل مدرسته الفكرية وابطاله الخاصون ودعاته واتباعه ويستشهد باختبارات سياسية معينة لاثبات فعاليتها . ومع ان ترتيبا زمنيا ينطبق على هذه السبل ومع انه كان لكل منها ايام عزه الخاصة ، فانها لا تنحصر في مراحل خاصة بها . وهي تستمر في التأثير على المشاريع الوجودية حتى حينما تكشفها أفكار أقوى منها .

(١) وجهة النظر التعاقدية وتجربة الجامعة العربية :

السبيل الاول رسمي وتعاقدى في نظريته العامة وقد وجد التعبير الرئيسي عنه في تأسيس جامعة الدول العربية . وتعود هذه التجربة الى فترة الطفولة في الحركة القومية وتعكس الصدمات والتناقضات ومواطن الضعف في الفكرة القومية عينها . وكان المقصود من هذه المحاولة الاولى أن تكون شاملة لجميع العرب ، خلافا لمحاولات الوحدة اللاحقة التي كانت دوما جزئية . وكان عليها في ذلك ان تتجاوز مشاعر الحسد والتنافس والتباينات الموجودة آنذاك بين الدول العربية الاصلية السبع المتعاقدة عن طريق اقامة رابطة فضفاضة وتكريس مبدأ سيادة الدولة . وكانت جامعة الدول العربية التي نتجت عن ذلك أبعد ما تكون عن مطالب القوميين ، الذين شعر الكثيرون منهم ان المولود الجديد هو خيانة للأمال الوطنية وتحرك يهدف الى تطويق المطالبات بسياسة قومية تنتهك الدول . صحيح ان اعضاء الجامعة لم يتصوروا انها خطوة نحو وحدة سياسية تامة او جزئية لانهم لم يكونوا راغبين في التخلي عن اي من السلطات التي ورثوها عن الدول الاستعمارية المتراجعة . غير ان الاهتمامات الاقليمية استمرت بواسطة اتجاهات أخرى . واقتضت العاطفة الشعبية والتطورات المهددة في فلسطين والمصالح المشتركة وتشجيع بعض الدول الكبيرة مستوى ما من التعاون . فكانت الجامعة ، اذن ، نتاج قوتين متنازعتين ، هما العروبة والاقليمية ، تعملان في وضع دولي يؤيد الثانية .

ولم تدعم الجامعة بأية طريقة مباشرة ، بوصفها التجسيد الاول للمشاعر الوجودية ، الاندماجات السياسية الفعلية بين البلدان العربية . وكان تأثيرها واسهامها غير مباشرين بشكل تام . وتمكن الاشارة الى اثنين من هذه التأثيرات غير المباشرة . أولا ، ان جمع كل البلدان العربية ضمن اطار تنظيمي واحد قد أعاق الطاقة الكامنة لنمو اقليمية اكبر في فترة خطيرة من فترات بلوغها النضج السياسي ، وبالتالي ساعد في حفظ الهوية القومية من التبدد . ثانيا ، ان اسهام الجامعة غير المباشر والذي لا يقل أهمية عن التأثير الاول في فرص الوحدة كان في الحقل الوظيفي (٣) . فقد ساعدت المؤتمرات المختلفة ، والوكالات المتخصصة ، والمعاهدات للتعاون الاقليمي وغيرها من النشاطات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية على ارهاق حساسية الاقطار العربية لفوائد التعاون المتبادل وتنسيق السياسات ؛ وبالتالي خفضت مستوى اعتماد كل منها على العالم الخارجي وزادت من اعتمادها على بعضها بعضا . وأعرب عن الراي نفسه عبد الخالق حسونة ، الامين العام السابق للجامعة ، في خطابه بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيس الجامعة . قال :

الحقيقة هي ان الجامعة قد مهدت الطريق لوحدة العرب السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية . فان ميثاق الجامعة وميثاق الضمان الجماعي العربي ، والمعاهدة الثقافية العربية ، والكثير من الاتفاقات الاقتصادية والمالية التي بلغت اوجها في ابرام الميثاق الاقتصادي بين الدول العربية وفي مشروع مصرف الانماء العربي ،